

السينما في الولايات المتحدة الامريكية

* البدايات الاولى

منذ البداية كان للمخترعين الأمريكيين الريادة والأسبقية في الاختراعات والابتكارات التقنية التي أدت الى ولادة السينما ، فقد كان توماس الفا اديسون (1847-1931) مهتماً باختراع آلة تجمع بين اختراعه الناجح الفونوغراف (آلة تسجل وتدير الصوت) والمتعة البصرية ، ولذلك وظف وليم ديكسون (1860-1935) لمساعدته في تطوير كاميرا تقوم بتصوير الصور المتحركة وهو ما تحقق لهما في عام 1889 باختراع آلة (الكنتوسكوب) وهي عبارة عن صندوق فُرجة لمشاهدة الصور المتحركة ، وسجل أديسون براءة اختراعه عام 1891، وتضم هذه الكاميرا جزئين الأول منهما هو أداة تقوم بوقف الحركة ثم إعادتها بطريقة تضمن الحركة المنتظمة لشريط الفيلم ، والثاني هو شريط الفيلم المثقوب.. ثم بدأ أديسون بتسويق آتِه الجديدة عبر شركات أهلية ، بعدها نقل أديسون السينما إلى مرحلتها الحاسمة باختراعه الفيلم الحديث قياس 35 م م ذي الأزواج الثقوبية الأربعة في الصورة ، وفي عام 1894 قام اندرو هولاند بتحويل محل لبيع الأحذية في برودواي إلى أول صالة كينتوسكوب يُعرض لخمسة متفرجين في ان واحد مقابل (25) سنتاً لكل متفرج ، وهكذا كان هولاند هو أول من يكسب عيشه من خلال فن السينما ثم تبعه آخرون.

وشهدت الولايات المتحدة انتشار صالات الكينتوسكوب وزيادة أعداد الزبائن الذين كانوا يدفعون العملات المعدنية الصغيرة من أجل المشاهدة والتسلية ، وهكذا كان المال دائماً.. هو أقوى دافع في تطوير السينما ، كما كانت صالات الكينتوسكوب تعرض أفلاماً قصيرة منتجة وموزعة من قبل شركة اديسون حيث كانت الكاميرا تسجل ما موجود أمامها في لقطة واحدة مستمرة ويعود السبب في ذلك الى محدودية الإمكانيات التقنية حينها .

تمكن آديسون من شراء حقوق آلة جديدة أطلق عليها اسم فيتاسكوب آديسون ، وأطلق عرضه الأول في القاعات الموسيقية في نيويورك في أبريل 1896 ، وقبل نهاية العام انتشرت السينما في أمريكا من خلال العرض في القاعات الموسيقية والمعارض الكبرى وهكذا كانت القواعد التقنية الأساسية للتسجيل والعرض السينمائي الأمريكي قد تم اكتشافها وإدخالها في الآلات المتداولة.

كانت الأفلام الأولى في أمريكا لا يتجاوز زمن عرضها سوى ثوان أو دقائق معدودة ولا تحتوي على أية طريقة للسرد السينمائي ويعتمد مضمونها على الحركة وهي في الغالب أفلام كوميدية الطابع ومن أسماء هذه الأفلام "منظر الحداد" و"الدببة المدربة" و"رقص الفتيات" وغيرها ، وفي عام 1902 شهدت مدينة لوس انجلوس افتتاح أول دار عرض سينمائي سميت دار "المسرح الكهربائي" وما لبثت دور السينما بالازدياد نظراً لإقبال الطبقات العاملة على وسيلة التسلية الجديدة.

وشهد عام 1903 عرض فيلم (حياة رجل إطفاء أمريكي) أخرجه (ادوين . آس بورتر) الذي يدور موضوعه حول إنقاذ رجل إطفاء لامرأة وطفل من النيران المندلعة في احد الأبنية ، وفيه ابتعد المخرج عن الأشكال المسرحية واستخدم الأسلوب السينمائي وأظهر لأول مرة المونتاج في شكله الأولي بتصوير كل منظر من زاوية محددة ، كما اكتشف بورتر ان صانع الفيلم يمكنه قطع المشهد قبل ان يصل نهايته المنطقية والانتقال الى مشهد آخر، وتحتوي هذه الطريقة في التوليف على البذور الأولى للغة سينمائية سردية وهي طريقة ترى ان اللقطة هي الوحدة البنائية الحقيقية ، وذلك ما استثمره جريفت بعدئذ وطورته هوليود لاحقاً، وعقب هذا الفيلم بدأت الأفلام تتحرر من قيود الزمان والمكان . وفي فيلمه التالي (سرقة القطار الكبرى) أضاف بورتر لمسات ابداعية جديدة مثل استخدام الطبع المتعدد والحركة البانورامية للكاميرا

والى حدٍ ما استغلال عمق الصورة كما يُعد هذا الفيلم من أوائل الأفلام التي عملت على إنشاء قصة الفيلم .

وهكذا كان لإسهامات بورتر الدور الواضح في انتشار دور العرض ذات الخمسة سنتات منذ إنشائها عام (1905) حيث أصبحت دور العرض هذه تجتذب منذ عام 1907 اكثر من مليون متفرج كل عام وذلك بفضل نجاح فيلم سرقة القطار الكبرى الذي اقنع المستثمرين بأن السينما مشروع اقتصادي مريح .

* السينما كصناعة في امريكا

في عام (1908) كان هناك "عشرة آلاف دار سينمائي ومائة شركة لتوزيع الأفلام عبر الولايات المتحدة الامريكية كان يقوم بتزويدها بالأفلام عشرون شركة إنتاج سينمائي وبذلك ارتقت السينما الى مصاف الصناعات الرئيسة بعد ان كانت مجرد مغامرة اقتصادية ، وأدى ازدهار هذه الدور الى دعم الإنتاج وزيادته واندماج الشركات التي ظهرت مع بدايات السينما في مؤسسات جديدة أنشأت مصانعها الخاصة لإنتاج الأفلام ذات العلامات التجارية المسجلة، فكانت التكاليف متواضعة والارباح باهظة وهذا يظهر الطبيعة التجارية للشركات الانتاجية الامريكية التي استغلت السينما منذ بدايتها ، وهو ما يؤكد البرت فولتون بقوله "ما من فن يعتمد على الاستغلال التجاري كما يعتمد فن السينما .. وأن تقدم ذلك الفن كان متوقفاً على كيفية استغلاله من الناحية التجارية ويضيف "كان نمو السينما باعتبارها صناعة أعظم من نموها باعتبارها فناً" .

ومن اجل التحكم بهذه الصناعة أنشأت الشركات (شركة تسجيل حقوق الأفلام) التي تمثل احتكاراً واضحاً يضمن سيطرتها على السوق الاميركية وحددت اسعار تأجير الأفلام ، كما

حددت حصص استيراد الأفلام الاجنبية لمنعها من منافسة الأفلام الاميركية كما احتكرت الأفلام الخام المنتجة من شركة (آيستمان كوداك) بموجب عقد موقع معها، وقامت بإصدار تراخيص الحصول على حقوق العرض والتوزيع للأفلام والاجهزة السينمائية . وهكذا تم التحكم في جميع مراحل صناعة الأفلام وبذلك فان هذه الشركات ساعدت على تأسيس صناعة السينما الأميركية من خلال تحديدها لمعايير العرض السينمائي ووضع نظام الأجور في قطاعات السينما الثلاثة : الإنتاج والتوزيع والعرض .

وفي عام 1910 ابتدعت في اقتصاديات السينما ظاهرة (النجم السينمائي) الاميركي وذلك بفضل اليهودي كارل ليمل حين أعلن عن أسم فلورانس لورانس أو (فتاة البايوجراف) لتكون "أول نجمة في تاريخ السينما" بعد ان كان المنتجون يرفضون الكشف عن اسماء وهويات أبطالهم خوفاً من مطالبتهم بأجور كبيرة وبدأ كارل ليمل يتبع سياسة جديدة تتمثل في الدعاية للممثلين والنجوم خاصة ، وسرعان ما قلد المنتجون المستقلون ذلك ورضخت الشركات الاحتكارية للظاهرة التي اطلق عليها **نظام النجوم - Star System** عام 1913 وبدأت بإعلان أسماء نجومها ومخرجيها والترويج لهم ليصبح هذا النظام هو القاعدة الأساسية للإنتاج السينمائي الأميركي إلى يومنا هذا.

* مرحلة التطور الفني للفلم الاميركي

بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى عام 1914 تراجعت صناعة السينما في الدول الاوربية وازدادت السيطرة الأمريكية وتأثيرها على السينما العالمية وتساعد النضج الفني للسينما فيها ، بسبب اندلاع الحرب في اوربا وعدم مشاركتها فيها الا في عام 1917، ويعود جزء من هذه السيطرة والتأثير الى المخرج **جريفث** الذي استطاع ان يجعل من السينما فناً قائماً بذاته ووضع أشكاله وقوانينه ، اذ تمكن من خلال عشرات الأفلام التي قدمها من تطوير تقنية السرد

والإخراج بمعناه السينمائي ، كما قسم المشهد الى اجزاء صغيرة ومنها أعاد تركيب الكل وجعل الكاميرا تؤدي دوراً مؤثراً في سرد القصة ، وتوالت ابتكاراته واكتشافاته وحيله لغرض التشويق و التأثير الدرامي ، كما اهتم بتنوع موضوعات أفلامه لتشمل الكوميديا ورعاة البقر وقصص الحب والشخصيات والموضوعات التاريخية ، مما أسهم بشكل كبير في تطوير لغة السينما وهذا ما يؤكد (ارثرنايت) بقوله: ان جريفت خلق فن الفيلم ، ولغته ، وقواعده . كما يشير المؤرخ (ديفيد كوك) الى أن جريفت حول الوسيط الفني الجديد (السينما) من كونه مجرد تسلية لا علاقة لها بالجماليات الى شكل فني مكتمل النضج .

وهكذا نشأت خلال هذه الفترة معايير صناعة الفيلم الاميركي وأصبح لأمريكا موقع الريادة في المجالين الاقتصادي والفني وأضحت السينما تجارة مربحة ، كما بدأ الفيلم الروائي الطويل يفرض وجوده تدريجياً خاصة مع النجاح الذي لاقاه فيلم (مولد أمة) إنتاج 1914 لجريفت الذي أثار جدلاً عنيفاً وقتها ، مما أدى الى رواجه وتحقيقه لأرباح كبيرة على الرغم من طوله وهذا ما جعل هوليوود تقدم على اخراج الأفلام الطويلة ذات الميزانيات الكبيرة والأجور الأسطورية .

* الفلم الناطق في السينما الاميركية

أحدث دخول الصوت إلى فن السينما تحولاً كبيراً في انتاج الفلم الاميركي إذ حتم ذلك إنشاء استوديوهات جديدة مزودة بأجهزة تسجيل صوتي عالية التكلفة فضلاً عن بناء دور عرض جديدة مجهزة بمعدات الصوت ، وهو ما أدى الى صرف أموال طائلة ، وأدى التحول صناعة الافلام الناطقة الى ركن الافلام الصامتة على الرف وخسارة منتجيتها وأصبح لزاماً على الممثلين التحدث بالأفلام بعد ان كانوا مدربين على التمثيل الصامت ، كما احدث الصوت تغييراً جذرياً في شكل وبناء الفيلم الأمريكي وكان سبباً في ولادة عدد من الأنماط الفيلمية ومن

أهم هذه الأنماط الفيلم الموسيقي ، ويعد فلم (مغني الجاز) الذي أنتجته شركة الأخوان وارنر عام 1927 أول فيلم ناطق على مستوى الافلام القصيرة ، ويعتبر فلم (اضواء نيويورك) المنتج عام 1928 اول فيلم روائي طويل ناطق بالحوار .

وبذلك لاقت الأفلام الموسيقية رواجاً كبيراً لدى الجمهور الذي اصبح يسمع الممثلين وهم يتكلمون ويتحاورون مع الشخصيات الاخرى فضلاً عن سماع الموسيقى والاغاني الراقصة ، ويرى المختصون ان الصوت اضاف للسينما الواقعية او الاحساس بالواقع .